نسمات الأدب

تصميم الغلاف: منة محمد

مذكّرات بلا نهاية

شهرة بوجلال

مذكرات بلا نهاية

شهرة بوجلال

شهرة بوجلال

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب: مذكرات بلا نهاية

المؤلف: شهرة بوجلال

غلاف الكتاب: منة محمد

موك اب الكتاب: همس الجنة

تنسيق داخلي: وسيم الزهري

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

"اهداء عام"

إلـــى مـــن خُـــذل فـــي لحظـــة كـــان فيهـــا الوفـــاء كل ما يملكه.

إلـــى مـــن مكـــر بـــه أقـــرب النـــاس، وظنّـــوا أن كيدهم سيطوي ضوءه.

إلـــى الطيـــب النقـــي الـــذي لـــم تُفســـده قســـوة القلوب، ولا دسائس القريب.

إليـــك وقـــد شـــاء الله أن ينجّيـــك فـــي اللحظـــة الأخيـــرة، لا لشـــيء إلا لأن قلبـــك كـــان نقيًّـــا، ونواياك كانت طاهرة.

نجّـــاك ربّـــك، وردّ كيـــدهم فـــي نحـــورهم، لأن الله لا يخذل من توكّل عليه.

ســـتقوم مـــن بـــين الحطـــام أقـــوى وأصـــدق وأنقـــى، لأن الله كـــان معـــك، ومـــا خـــاب مـــن كان الله معه.

"اهداء خاص"

إلى صاحب القلب الأرحب والأحن.

إلـــى مـــن ظنّـــوه ضـــحية فكـــان النـــاجي المنتصر.

إلـــى ذاك القلـــب الـــذي أعطـــى بصـــدق، فخُـــذل من أقرب من ظنّهم وطنًا.

إلـــى مـــن وثـــق فغـــدروا، صـــدّق فخـــانوا، أحبّ فطعَنوا.

كـــادوا لـــه كيـــدًا عظيمًـــا، حـــاكوه فـــي الظـــلام، بخيوط الغدر والخديعة.

ظنّوا أن الطُهر يُهزم، وأن النقاء يُكسَر.

لكـــن الله... الله الـــذي لا ينـــام، ولا يُســـلِم الطيبـــين للـــذئاب، مـــدّ يـــده فـــي اللحظـــة الأخيرة فانتشلك من قعر المكر.

كأنك يوسف حين خذله إخوته ثم رفعه الله على خزائن الأرض.

لقد نجاك الله لا لدهائك بل لصدق نيتك، ونقاء سريرتك.

وردّ كيدهم في نحورهم، وكشفهم على رؤوس الأشهاد.

فلا تحزن، فما كُتب لك لم يكن ليُخطئك، وما أُريد بك سوءٌ إلا وردّه الله عنك.

قم الآن وانهض لا كمن نجا بالكاد بل كمن كُتب له عمرٌ جديد.

عُد أنقى، وأقوى، وأهدأ يقينًا، فقد خذلك البشر لكن السماء اصطفَتك.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

"المقدمة"

ليست كل السهام تُرمى من بعيد، بعضها يأتي من حيث ظننت الأمان، من صدورٍ كنت تُقسم أن فيها مأواك، ومن وجوهٍ كنت تظنها وطنًا.

الخذلان؟ هو حين يُطفئ أقرب الناس فيك نور الثقة، لا دفعة واحدة بل قطرةً قطرة حتى تتيقّن أن الظهر ليس فقط مكانًا للحِمل بل للطعن أيضًا.

وهناك المكر... ذلك الخيط الخفيّ الذي ينسجه من لا يُجيدون المواجهة، أولئك الذين يبتسمون لك وفي صدورهم غابة من الأشواك، يخططون لإسقاطك في الخفاء، ويحسبون أن صمتك ضعف، وأن طيبتك غباء.

لكن النجاة؟ النجاة لا تأتي صدفة، تأتي حين ترفع يديك في الليالي الثقيلة وتقول: "حسبي الله ونعم الوكيل."

حين تُسلّم القلب المجروح إلى الله، لا إلى الناس، حين تفهم أن الله لا يُسلم من توكّل عليه لأنياب الخائنين، ولا يخذل من بكى له صدقًا في العتمة.

هذا الكتاب ليس ترفًا أدبيًا، ولا نواحًا على الماضي، إنه صوتٌ لمن صمت طويلًا، ومرآةٌ لكل من شُوّهت روحه بأيدي أحبّته، ثم نجا.

هو شهادة حياة على أن الطعنات لا تقتل، إن كان الله هو من يضمّد.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

"دفء ظني"

في دفء ظني زرعتُ بذور الثقة فظننتُ أن القلوب ستنمو كما ينمو قلبي، أن الخطوات ستتوازى على درب ٍواحد، لكن الرياح لم تهب كما توقعت فجرى الوجدُ متعثرا ً بين الحقول.

لم ألوم الريح حينما جرف ما زرعته، ولا اللوزة حينما جفت في حضن الأرض بل وجدتني في مرآة الصدق أمسح الغبار عن عيني وأعترف: كان ظني هو البذرة التي لم تثمر.

"مشاعر حائرة"

مشاعر حائرة...ويقين لا يتزعزع

تمرّ الروح بلحظات لا لون لها، تتأرجح بين الطمأنينة والتساؤل، تتوق لشيءٍ لا يدرك، وتشتاق لما لا يُقال.

هي مشاعر لا تستقر كأنها رياح خفيفة تطرق أبواب القلب ثم ترحل تترك وراءها صمتا لا يُفسر، لكن في عمق هذا التيه ينبع نورٌ لا يخبو، صوتٌ خافت يهمس: اطمئن... الله معك.

تتبدد الغيوم حين يُذكَر اسمه، وتنحني المخاوف أمام دفء اليقين، فما دام القلب معلقًا به لن يضيع وإن ضلّ الطريق.

ليست كل الحيرة ضعفًا، ولا كل التقلّب ضياعًا، أحيانًا تكون المشاعر الحائرة مجرد عبور إلى نورٍ أعمق، إلى فهمٍ أصفى، إلى إيمانٍ لا يتزحزح.

فليهدأ القلب وليسكنه الرضا، فالله لا يترك من لجأ إليه ولا يخيب من وثق به.

"ما عدتُ أراكِ"

ما عدتُ أراكِ كما كنتِ... كنتُ أراكِ ضوءًا، فرأيتكِ نارًا تتزيّن باللهب.

كنتُ أراكِ ملجأ، فإذا بكِ فخا مغطى بالحنان.

ما أخطر أن تمنح قلبكِ لمن يُتقن دور الطمأنينة، لمن يزرع وردًا في الطريق، لكنه يخبّئ الشوك تحت قدميكِ.

الخيانة ليست في الطعنة... الطعنة صريحة، الخيانة في اليد التي تمسح دموعكِ ثم تذرفها في مجلس النميمة، في الكتف الذي تسندين رأسكِ عليه ثم تكتشفين أنه خشبة مشنقة.

تعلمين؟

ما عاد يؤلمني الغياب بل الحضور الكاذب.

ما عدتُ أندم على ما قلته لكِ بل على ما صدّقته منكِ.

ومع ذلك سامحتكِ بصمتٍ، لا حبًا بل لأن قلبي لا يليق به أن يحمل وزر الخائنين.

"دعهم يخطئون"

لا بأس دعهم يخطئون فيك، دعهم يظنون أنك ما لستَ عليه، أن نيتك مائلة أو قلبك مغلق أو أنك تحمل ما لا تحمله أصلا.

ليس عليك أن تضيء لهم الطريق دائمًا، أحيانًا يكفي أن تعرف أنت أين تقف، وماذا في داخلك، وكيف تنام ليلك مطمئنًا.

النفوس المنصفة لا تحتاج إلى شرح، والقلوب التي ترى بصدق لا تنتظر دفاعك لتفهمك.

هناك راحة في أن تصمت، أن تبتسم قليلا وتمضي كأنك تقول للعالم: أنا أكبر من هذا الظل.

"غبار الكلام"

أحيانًا يعلو الغبار حولك، ليس لأنك أخطأت بل لأنهم لا يحبّون وضوحك.

يقولون ما يشاؤون، يرسمونك بخطوط غيرك ثم يطلبون منك أن تشبه الرسم.

تتعب، تمدّ يدك لتشرح، لتُضيء، لكن الضوء لا يُجدي لمن أغلق عينيه.

فجأة تتعلّم أن الصمت ليس هروبًا بل اختيار نبيل أن تُنقذ روحك من السقوط في حفرة لا قرار لها، أن تدعهم يمضون بانطباعاتهم كمن يطارد السراب، ويظنه ماءً.

أنت لست حكايةً يقرؤونها على عجل، ولا مرآةً تُظهِر ما يُريدون فقط، أنت قلبٌ يعرف طريقه، ونفسٌ تستحق الهدوء،

فـــاتركهم وكـــن كمـــا أنـــت، نقيًّـــا، صـــادقًا، صامتا ومضيئًا دون ضجيج.

"من رماد الحدث... تشتعل الإرادة"

مـــا كـــلُّمـــا ينـــزلُ بُســـاحتك مـــن القضـــاء بيـــدك، لكـــن يـــدكَ وحـــدها تمســـك زمـــام الـــردّ، وتخـــطُّعلـــى لـــوح التجربـــة إمّـــا عجـــزًا أو مجدًا.

تتســـاقط الأحـــداث كمـــا المطـــر بعضُـــها يـــروي، وبعضـــها يُغـــرق، لكـــن التربـــة التـــي تســـتقبل البلـــل هـــي مـــن تقـــرّر: أن تُنبـــت أو أن تتعفّن.

قـــد يطـــرقُ بُابـــك الحـــزن بـــلا ميعـــاد، ويجلـــس علـــى صـــدرك كجبـــلٍ ثقيـــل، فـــلا تســـأله لمـــاذا أتـــى بـــل اســـألك: هـــل ســـتقابله بانكســـارك؟ أم تـــنهض مـــن بـــين الركـــام، وتصـــوغ مـــن جراحـــك شـــعرا، ومـــن نكبتـــك معنـــى؟ مـــا يحـــدُث لـــك، لـــيس هـــو الفصـــل الأخيـــر إلّا إن

كتبتـــه أنـــت كـــذلك، فالخســـارة لا تصـــنع الهزيمـــة، وإنمـــا العجـــز عـــن الفعـــل بعـــدها هو الذي يصنعها.

"ردّ الفعل"

ليس كل ما يصيبنا نختاره لكننا نملك الخيار في أن لا ندعه يكسرنا، تسقط الأحداث على رؤوسنا بلا إذن، تأتي في لحظاتٍ لم نستعدّ لها لكننا نمنح في المقابل شيئًا أعمق من الحدث: ردّ الفعل.

نحن لا نُصاغ مما يحدث لنا بل مما نصنعه نحن مما يحدث لنا، فالخسارة قد تكون مدرسة، والخذلان بداية صحوة، والألم بوابة نحو ذاتٍ أقوى، أنقى، أصدق.

فلا تسأل: لماذا حدث هذا؟ بل اسأل: ماذا سأفعل به؟ هل سأُطفئ النور وأبكي

علـــى العتمـــة؟ أم أُشـــعل شـــمعة ولـــو صـــغيرة وأمضي بها إلى حيث يجب أن أكون؟

"وجع لا يُرى"

ما أقسى أن تُزع في طريقك الأشواك بأيدي من لم تمد يدك ّإليهم يومًا سوى الزهور.

ما أقسى أن يُلوّن بياضك بالكذب، وتُكسى روحك بنوايا لم تعرفها يومًا، لأن في قلب أحدهم ظلًا لا يعرف النور.

الحاقد لا يُجيد المواجهة لأنه أضعف من أن يراك كما أنت، هو لا يحتمل وهج نورك فيغرس في طريقك ظلالًا باهتة، ويزرع في آذان الناس همساتٍ مسمومة يخشى حقيقتك فيستبدلها بصورة مشوّهة يرسمها على مهل ثم يوزّعها بلا خجل على العابرين، لكن لا تحزن فالشجرة المثمرة وحدها تُرمى

بالحجـــــارة، والـــــذهب لا تزيـــــده النـــــار إلا بريقًا.

دعهـــم يقولـــون مـــا شـــاؤوا فالحقيقـــة لا تموت، والقمر لا تحجبه أفواه المارين.

"ما خذلني ... أنقذني"

لم يكن الوجع ُخصما بل كان معلما صامتا يسحبني من زيف التعلّق الى صدق التوكل.

لم تكن الخسائر خسائر بل كانت يد َالله الخفية تُزيح عن طريقي ما لا يُشبه قدري.

الذين رحلوا؟

أخذوا معهم ثِقل الوهم، وتركوني أخفّ، أنقى، أقرب لنفسي.

والأبواب التي أوصدت في وجهي؟

ما كانت إلا إشارات رحيمة بأنني أطرق ما لا يُناسبني.

تعلمت أن أثق حتى وإن غابت عني تفاصيل المشهد.

تعلّمـــــت أن أســـــلم لأن التـــــدبير الأعلـــــى لا يُخطئ.

ما خذلني، أنقذني.

وما آذاني، علّمني.

وما فقدتُه ما كان لي.

إن ّمع العسر يسرا دائمًا.

"عندما يشبه القلب النهر"

ليس أجمل من قلب يشبه النهر يمضي في طريقه بهدوء، لا يسأل لمن يعطي، ولا ينتظر من يعترف بجميله.

العطاء الحقيقي لا يقاس بالكثرة بل بالنية النقية خلفه. قد تكون كلمة، دعاء، ابتسامة، أو حتى صمتا يحمل تعاطفا لكنها تحدث فرقا وتترك في القلب دفئًا لا ينسى.

أن تحبّ الخير لغيرك، كما تتمناه لنفسك، هو رفعة لا يصلها كثيرون لأنها تحتاج قلبا تجاوز الأنا، ووعى أن السعادة تتضاعف حين تشارك.

افعل الخير لأنك قادر على فعله، لا لأجل ردّ جميل، ولا انتظار شكر.

ازرع في طريق الناس نورًا، حتى لو لم تمرّ من هناك مرة أخرى.

واعلم أن كل خير تقدمه، يعود إليك، ربما لا بنفس الشكل، لكن دومًا بأجمل مما توقعت.

"وجوها لا تعرفها"

ليس من السوء أن تكتشف حقيقة البعض، فالمرآة أحيانا تكشف وجوها لا تعرفها، لكنها تمنحك فرصة لترتيب فوضى الروح، وتضيء دروبا كان ظلامها يخنقك بصمت.

هي ليست جرحا بقدر ما هي انعتاق، كسر للأغلال التي قيدت ثقتك، وبداية لحياة تُبنى على صخور الحكمة، لا على رمال الخداع.

دع عينيك تلتقط التفاصيل، وقلبك يختار بحكمة من يستحق البقاء، ولا تخش أن تخسر من لا يقدر قيمتك، فكل فقدان هو مساحة لشيء أجمل أن يحل، في اكتشافك هناك قوة لا تقهر، ونجاة لا

تُشترى، وحياة تبدأ من جديد، بسلام مع ذاتك، وثقة لا تلين.

"رُغمَ العاصفة"

الخـذلان لـيس حـدثا عـابرًا... إنـه عاصـفة تهـبّ بغتـة تقتلـع فـروع الثقـة وتكسـر أغصـان الطمأنينـة، وتتركـك عاريًـا ذاتـك، تسـألها: كيـف صـدّقـت؟ كيـف منحـت؟ كيـف ظننت أن النقاء يقابل بالنقاء؟

الخـذلان يهـزم الجـزء الطفـولي فينـا، ذلـك الـذي مـا زال يعتقـد أن الخيـر يـرد بـالخير، وأن القلـوب تقـاس بصـدقها لا بمـزاج غيرها.

لكـن لـيس كـل مـا يكسـر يمـوت، فالجـذور التـي تـؤمن بـذاتها حتـى وإن تكسـرت أغصـانها تنبـتُ مـن جديـد، لـيس لأن العاصـفة كانـت رحيمـة بـل لأنهـا هـي كانـت عميقة بما يكفي لتنجو.

نعم، قد تتأخر البدايات، وقد تمرّ أيامنا دون ظل، دون دفء، لكن النبتة التي تنمو بعد الخذلان، تكون أصلب، وأصدق، وأقلّ قابلية للخداع.

الخذلان يُعيد ترتيبنا من الداخل، يطفئ فوضى التوقع، ويُعلمنا أن لا نمنح قلوبنا لمن لا يملك يدًا ليحملها إذا سقطت.

فنحن لا نشفى حين ننسى بل حين نغفر لأنفسنا أننا صدّقنا ما لم يكن ثم ننهض لا لنعود كما كنا بل كما يجب أن نكون: أنضج، أهدأ، وأقلّ حاجةً للآخرين ليؤكدوا قيمتنا.

العاصفة تُعري الشجرة، لكنها لا تقتل الجذر.

"مرآة القلوب"

الخصومة مرآة القلوب حين تشتعل نار الخلاف، تتبدد الأوهام، وتنكشف الحقيقة بلا زيف، في الخصومة ترى النفوس كما هي لا كما تريدها أن تكون، هناك تجد من يقف بجانبك مهما تكالبت الدنيا، ومن يرحل مع أول هبوب ريح.

هي ليست لحظة خسارة بل لحظة انتصار للحق، فبعض الخلافات تزيح الغشاوة عن عينيك وتعلمك أن تميّز بين الوفاء والخيبة، بين الصدق والزيف.

فالخصومة ليست إلا ميزانا عادلاً يقيس معدن الناس، فتعرف من يستحق أن تبقى له مكانا في قلبك، ومن كان مجرد طيف عابر.

"نجاة"

ظننـــتُهم نبضًـــا حـــين خفَـــت النـــبض فـــي الآخـــرين، وبنيـــتُ عـلـــيهم أملـــي كمـــا تُبنـــى القصـــور علـــى صـــخرٍ راســـخ، منحـــتهم قلبـــي وعقلـــي ووقتـــي، أعطيـــتُ بســـخاء لا ينتظـــر جـــزاء بـــل بـــدافع المحبـــة والإخـــلاص، واليقين بأن الخير لا يُضيع.

لكـــنهم مـــا حفظـــوا العهـــد، ولا صـــانوا اليـــد التـــي امتـــدّت إلـــيهم طـــاهرة بـــل اجتمعـــوا علـــى خـــديعتي، وتـــآزروا علـــى دفعـــي فـــي غياهـــب بئـــرٍ مظلـــم، كـــأنّ الوفـــاء جـــرمٌ لا يُغتفر.

كنـــت قـــاب قوســـين مـــن الانهيـــار لـــولا أن يـــد الله كانـــت أقـــرب مـــن خنـــاجرهم، ولطفـــه

أسبق من كيدهم، ورحمته أوسع من غدرهم.

لم أُجبهم بغدرٍ مثل غدرهم بل سرتُ من حيث خرجت أكثر حكمة، أقل اندفاعا، وأشد يقينًا أن من كانت وجهته الله لن يضله الناس مهما اشتد ظلامهم.

"خيوط العنكبوت"

الأعداء ليسوا غرباءً يقتحمون حياةً بلا دعوة بل هم أحياناً أولئك الذين زرعنا في قلوبنا بذور الثقة، منحتهم مفاتيح دواخلنا فتحولوا إلى ظلالٍ لا تُرى، يتسللون بين نبضات القلب بصمتٍ قاتل لا يصدرون صخب العداوة بل همس الخيانة.

في مرآة العلاقات نبحث عن وجوه نقية لكن غالباً ما نرى انعكاساً مشوها، وجهاً يكتم أنفاسنا بهدوء، وشخصاً يأكل من أرواحنا ببطء دون أن ندرك حجم الجرح إلا بعد أن ينكسر الصمت.

الغريب لا يملك رغبة في حربنا، فهو لا يعرف اسماء جراحنا ولا أسرارنا المخفية.

أما الأقربون فهم محاربون بملابس السلام، ينسجون حولنا خيوط العنكبوت بحبٍ مزيف، حتى نعلق في فخ الخذلان دون أن نشعر.

فليكن قلبك حصناً لا يكسر، ونورك سلاحاً يضيء في ظلام الخيانات، لتتعلم أن تحب لا بمنح كل شيء بل بمنح الثقة لمن يستحقها، لأن الأعداء الحقيقين هم أولئك الذين يعشقون تمثيل دور الأحباب

"ناكر الجميل"

يا لخيبة القلب حين يُطعَن من حيثُ منح، حين يُقابَل الوفاءُ بالتنكر، ويُجحد الإحسان كأن لم يكن.

هو لم يفاجئني بل أكد ما خُيّل لي دومًا: ان بعض الوجوه تُجيد التمثيل، لكن القلوب لا تُجيد الكذب طويلًا.

ناكر الجميل لا يُهين إلا نفسه، يخلع عن روحه رداء الكرامة، ويمضي عاريًا من النبل غارقًا في ضجيج الحقد والخذلان.

هو لا يرى النور إلا تهديدًا، ولا الخير إلا ضعفًا، لأنه لم يتذوق يومًا طعم الصفاء، ولم يربّت على قلبه أحد ليُعلّمه معنى الامتنان.

ما أحزَنَني فعله بل أحزنَني ما آل إليه.

أحزنَني أن يُحوّل دفء العطاء إلى سخرية، وأن يرى اليد التي امتدت له، قيدًا بدل أن تكون ملاذًا.

لكنني أرفع رأسي لا خيلاء بل عزة، لأنني أحببت وأعطيت، لا لغاية بل لوجه الله، ولأنّني برغم الخذلان لم أندم، فالمُحسن لا يخسر وإن خانه من أحسن إليه.

"همسة خفية"

لا شـــيء يبقـــى علـــى حالـــه حتـــى الغيـــوم حـــين تثقـــل، تمطـــر، والقلـــوب حـــين تضـــيق، تتسع من جديد.

علمنـــا الـــزمن أن الشـــدائد ليســـت نهايـــة بـــل بداية أخرى نخلق فيها من جديد.

كـــل تعثـــر، كـــل ســـقوط هـــو همســـة خفيـــة تقـــول لنـــا: هنـــاك مـــا هـــو أنقـــى ينتظـــرك، طمـــئن قلبـــك مـــا خســـرته كـــان دربـــا لا يليـــق بك، وما تنتظره لن يضيع إن كان لك.

إن الله يمهـــد الطـــرق فـــي الخفـــاء، يزيـــل مـــا لا يُشـــبهك، ويقـــرب إليـــك مـــا كتـــب لـــك بلطـــف لا يُـــرى، لكـــن يحـــس ّفـــي راحـــة البـــال فـــلا تحـــزن كثيـــرًا، كـــل مـــا يمضـــي يحمـــل فـــي طياته شيئًا أجمل قادم.

"حين يُنكر الجميل"

ما أقسى أن تمدّ يدك قلبا وتعود منها مثقوب الوفاء! ما أمرّ أن تزرع في أرضٍ ظننتها خصبة فتحصد شوك الجحود وتنزف من صمتها الجارح!

يا لهذا الذي أنكر المعروف كأنّ ما كان لم يكن، كأنّ الأيادي التي رفعته بها، والخطى التي قوّمت عثراته تلاشت بين رماد النكران.

لكنه لم يسقطني بل سقط في عيني، ولم يدنس نقائي بل عرّى قبحه، فأنا وإن خذلني لم أخذله، وإن طعنني ما رددت الطعن بل اكتفيت بُصمتٍ فيه عتاب، وبكرامةٍ لا تنحني لذكرى.

نـــاكر الجميـــل يـــا عزيزتـــي يحمـــل قلبـــا كالحجـــارة لا يعـــرف دفء الشـــعور، يمـــرُّ علـــى الطيبـــين فـــلا يـــراهم إلا ظـــلالا ويحسب الطهر ضعفًا والعطاء حيلة.

فـــدعينا نمضـــي لا نلتفـــت، فـــالمعروف لا يهـدى لأجـل الشـكر بـل لأنـه جـزء منـا مـن نبلنا من صفائنا.

وإن نكـــروا؛ فحســـبنا أن الســـماء لا تنكـــر، وأن الله يـــرى ويُجـــزى ويُكـــافئ السـّـر والنوايا.

"الإنتقام النبيل... صمت يليق بالكرامة"

لـــن أرفـــع صـــوتي لأشـــرح لهـــم حجـــم الجُـــرح، ولـــن أُنـــزل نفســـي إلـــى مســـتواهم لأرد ّالإساءة بمثلها.

تعلمـــت أخيـــرًا أن بعـــض الـــردود ليســـت كلمـــات بـــل غيـــاب، أن أوجـــع الأجوبـــة هـــو الصمت حين كانوا ينتظرون انكسارك.

ســـأتقن فـــن الانســـحاب الأنيـــق، ســـأُرتّب فوضـــاي الداخليـــة، وأُرمـــمُ قلبـــي بمـــا تبقـــى من نُبل في هذه الحياة.

ســـأكون النســـخة الأقـــوى مـــن نفســـي، لا لأثبـــت لهـــم شـــيئًا بـــل لأذكّرنـــي أنـــي أســـتحق حيـــاة ًلا يُفســـدها وجـــودهم. لـــن أكـــون

شـــاهدة علـــى فصـــول جديـــدة مـــن خـــذلانهم، ولن أسمح لهم أن يلوثوا نقائي المتبقي.

أمـــا الانتقـــام؟ فقـــد صـــار شـــكله بســـيطًا، أن أنجـــو مـــنهم وأزهـــر أكثـــر ممـــا توقعـــوا، وأمضي دون التفات.

"قلبٌ يؤمن رغم العتمة"

في قلب الفوضى ثمة نعمة لا تُرى تشبه الطمأنينة التي لا يعرف سرّها سواك.

أن تستيقظ وقلبك خفيف لا يئن من وجع الأمس، ولا يرتجف من غموض الغد، أن تتنفس دون حزن ثقيل على صدرك، دون سؤال يلح أو خيبة تتسلل خفية، أن تجد في الحياة من يحبك بصدق لا بعددهم بل بصدقهم، وفي قربك من ربك ما يغنيك عن كل ابتعاد، أن تتصالح مع اللحظات الغامضة وتقول في داخلك: لا أفهم لكني أثق، تلك هي الطمأنينة، وتلك هي الهبة.

الرزق؟ هو كلمة تداوي، قلب يربت، فرصة تفتح دون سعي، ضحكة صافية

وسط ضجيج، وطمأنينة تهبط على روحك كالمطر بلا موعد.

ليست الحياة ما يحدث خارجك بل كيف تعيش كل ذلك بقلبٍ لم يتوقف عن الإيمان أن الخير قادم، وأن الله مهما تأخر لا يُخطئ التوقيت أبدًا.

"حين يوجِعهم النقاء"

يمـــرّون بـــك وأنـــت كمـــا أنـــت: نقـــي النيـــة، دافـــئ الحضـــور، تحمـــل فـــي قلبـــك بـــذور الضوء وتوزعها دون حساب.

لكـــن لا تُخـــدع فالضـــوء لا يُعجـــب الجميـــع، وبعض القلوب لا تحتمل الانعكاس.

حـــين يـــرى فيـــك أحـــدهم مـــرآةً لمـــا ينقصـــه، يجرحـــك، لا لأنـــك آذيتَـــه بـــل لأنـــك أظهـــرتَ له ما لا يملكه.

سيشـــوّهونك لـــيس لأنـــك قبـــيح بـــل لأنـــك جميل بما يفوق احتمالهم.

سيُســـقِطون عليـــك ظلالهـــم ليتوهـــوا عـــن ظلامهـــم الـــذي يســـكنهم، فـــلا تطفـــئ نـــورك لترضـــي العتمـــة، ولا تَخفـــض نغمتـــك كـــي لا تُربك ضجيجهم.

دعهم؛ تَأذّوا من صفائك، أو عَبَسوا في وجه بهجتك، فأنت لست مسؤولًا عن هشاشتهم، ولا عن ندوب لم تصنعها يداك.

كن كما أنت، ولا تخشَ أن تلمع.

"حين تعجز العيون ...يُنصفك الله"

لا تحزن إن لم يعرفك الناس، ولا تنكسر إن قصر نظرهم عن جوهرك، فالنقاء لا تدركه العيون بل تحسه القلوب، ومن اعتاد النظر إلى السطح يعجز دوما عن رؤية العمق.

قد يُساء فهمك، وقد تباع بثمن لا يليق بك، لا لأنك قليل بل لأن المشتري لا يحسن التقدير.

لكن لا تقلق، فثمة عين لا تنام، ترى ما غفلت عنه العيون، وتعلم ما خفي فيك من جمالٍ ونقاء.

دع الأيام تمضي كما تشاء، ففي طيّاتها إنصاف مؤجل، وفي صمتها وعد من الله: أن لا ينسى من صبر، ولا يهمل من

ظُلِـــم، ولا يطفـــأ نـــورٌ جعلـــه الله ســـبباً فـــي إضاءة الطريق لغيره.

فاصـــبر ولا تطفـــئ نـــورك لأجـــل مـــن لـــم يُبصره بعد، فالله يرى.

"خذلان بصوتٍ منخفض"

الخـــذلان لا يـــأتي صـــاخبًا إنـــه يتســـلل بهـدوء، ينـزع شـيئاً فشـيئا تلـك الثقـة التـي منحتهـا، ويتركـك تراجـع كـل شـيء كنـت تظنه حقيقيًا.

يبـدأ حـين لا يعـود الحـديث كمـا كـان، حـين يصـبح الاهتمـام مجاملـة، والقـرب عـادة بلا دفء.

الخـــذلان الحقيقـــي؟ هـــو أن تمـــنح أحـــدهم وجـودك بثقـة، أن تغـرس نفسـك فـي حياتـه وكأنـك تنتمـي إليهـا، ثـم يغـادرك ببسـاطة كأنك لم تكن يوما شيئًا يستحق البقاء.

هـــو أن تكتـــب أحـــدهم فـــي فصـــل الحيـــاة الأجمـــل فيتركـــك فـــي منتصـــف الحكايـــة دون وداع، دون تفسير، فقط نقطة نهاية.

لكننـــا لا ننهـــار، نحـــن فقـــط نـــتعلم أن نحـــب بصـــــمت، أن نثـــــق بحـــــذر، وأن نحـــــتفظ بأنفسنا من أجلنا، لا من أجل أحد.

فالخـــذلان لا يميـــت لكنـــه يـــوقظ فينـــا نســـخة أكثـــر وعيًـــا وأقـــل انـــدفاعا، وأشـــد ّحـــذرًا حين نمنح قلوبنا من جديد.

"اختبارات خفية"

مررنا بمواقف لم تكن عابرة، كانت اختبارات خفية تنزع الأقنعة بلطف خادع.

ضحكنا في وجوهٍ حسبناها سندًا، وفتحنا صدورنا لأرواحٍ ظنناها مأوى، فكان الجزاء خيبةً تختبئ بين التفاصيل، وخذلانا لا يعلن عن نفسه إلا حين نكون في أشدّ الحاجة.

تعلمنا أن الطعن لا يأتي من عدو بل من أقرب منا إلينا، وأن الثقة لا تُمنح لكثرة الكلام بل تُبنى على صمتٍ صادق وتجربةٍ طويلة.

أدركنا متأخرين ربما أن النقاء لا يقابل دائما بنقاء، وأن القلوب الطيبة غالبًا ما تستنزف في معارك لم تخترها.

فهمنا بعد كل شيء أن لا أحد يؤتمن تمامًا، وأن أجمل العلاقات هي تلك التي لا ترهقها التوقعات، ولا تبنى على عمى الثقة بل على وعي الحذر.

"حكايات المجرمين الأنيقة"

المجرمون ليسوا دوما أولئك الذين يفرون تحت جنح الظلام، بل كثيرًا ما يختبئون تحت أقنعة براقة، ويجلسون على الطاولات بثقة المتحدثين باسم الحق، هم مبدعون، لا في إصلاح ما كسروا بل في تزوير الوقائع، وفي صناعة روايات مُتقنة تجعلهم ضحايا في كل مشهد، وأبطالا في كل جريمة.

بارعون في قلب الحكاية رأسا على عقب، يشوهون السمعة بذكاء خبيث، يزرعون النميمة كما يزرع السم في العسل، وينشرون الأكاذيب كما لو كانت حقائق موثقة، لا يتحدثون بصوت مرتفع دائمًا، لكنهم يتسللون إلى العقول بالكلمة

المبطنة، بالسؤال العابر، بالتلميح المدروس، حتى تُشكك الضحية في نفسها، ويبدأ المحيط في إعادة ترتيب القصة كما أرادوها هم.

هم لا يبحثون عن براءة بل يصنعونها بأيديهم، يرسمونها بملامح الندم المصطنع، يبكون، يشتكون، ويتقنون الشكوى من الغدر والخذلان، وكأنهم لم يغرسوا الخناجر في ظهور من أحبّوهم.

الغريب فيهم أنهم ينامون مطمئنين بلا تأنيب، بلا اضطراب، بل وقد يشعرون بأنهم الأطهار وسط كل هذا الخراب، إنهم ليسوا مجرد مخادعين بل فنانون يصوغون الأكاذيب على هيئة حقائق، ويحرقون القلوب دون أن يمسهم لهيب.

(المجرمون مبدعون جدًا في تأليف الروايات التي تبرأهم، عباقرة في تحويل أصابع الإتهام و قلب الطاولات ضد ضحاياهم، يملكون كل الحجج والمبررات التي تجعلهم ينامون في حالة رضاء تام عن أنفسهم، ويستطيعون إقناعك أنهم على حق سواء بلباقتهم في التحدث، التلاعب بالحقائق، البكاء حتى إثارة الشفقة، أو الشكوى المستمرة عن الغدر والخذلان وعدم الأمان)

"هُزمنا"

هُزمنا؛ ليس على يد الأعداء بل على يد أولئك الذين كنا نزرع في قلوبنا لهم بذور الأمل والثقة، لم تأتِ هزائمنا من الخارج بل من الداخل، من ذاك الوهم الذي صغناه بأيدينا، من غدر من كنا نظنهم خيرًا، كم مرة فتحنا أبواب قلوبنا بلا خوف، وكم مرة ضاع سرّنا في بحرٍ من الوعود الكاذبة؟ تعلمنا أن أشد الجراح ليست تلك التي تُوجعنا من الغرباء بل تلك التي تأتي من القريب، ممن كنا نعتقد أنهم جزءٌ من نورنا لكن من بين الرماد يولد درس، ومن بين الخيبات تنبت حكمة، علينا أن نعيد ترتيب ثقتنا ليس لتكون حصنًا بل لتكون

مـــرآة ًتميـــز بـــين الصـــادق والكـــاذب، بـــين من يستحق القلب ومن لا يستحق.

"خطيئة الطيب الحنون"

خطيئته الوحيدة أنه ظن أن القلوب كلها تشبه قلبه، فأعطى، وغفر، واحتمل، وأسرف في الحنان كأن لا نهاية لما يملك.

فتح نوافذ روحه على اتساعها، وأسكن الآخرين فيها دون شروط، دون حساب، كلما احتاجه أحد كان أول الحاضرين، كلما انكسر قلب مدّيده دون تردد، كان طيبًا أكثر مما يجب.

لكن الطيبين حين يظنون أن العالم يشبههم يدفعون الثمن غاليًا، يعطون حتى الفراغ، حتى الإنهاك، حتى لا يبقى لهم من أنفسهم شيء، ثم حين يجلسون أخيرًا مع أنفسهم بعد أن انفضّ من

حولهم من اكتفوا من عطائهم يدركون الحقيقة المُرة: أنهم أفلسوا من كثرة ما أغدقوا، وأن قلوبًا كثيرة لم تبادلهم إلا بالجفاء أو النسيان.

في وحدته جلس الطيب الحنون يطالع وجهه المنهك في مرآة قلبه، لم يكن نادمًا على طيبته لكنّه كان مكسورًا من قسوة العالم، من خذلانٍ لم يكن يتوقعه، ومن فراغٍ صنعه العطاء حين لم يجد من يُعيد إليه شيئًا منه، ومع ذلك سيبقى طيبًا لا لأنهم يستحقون بل لأن الطيبة فطرته وسجية قلبه، وما كان نقيًّا لا يتلوّث وإن تكاثر حوله الرماد.

"وراء الحقد... نور التفاؤل"

يحقد عليك أحدهم لأنك تحمل ما تاق إليه، أو لأنك تعرف عنه ما تمنى لو محاه من ذاكرتك.

هذه الحقيقة وإن غلّفتها غيوم الحقد وبرد الغدر، إلا أنها فتحت أمامك نافذة: أنت وحدك من يملك أن يرسم لنفسه ضوءًا يطرد الظلام.

إن حقدوا لأنك تملك ما لم يُكتب لهم، فاشكر الله؛ فالنعمة التي بين يديك ليست مسلّما بها بل أمانة، وفرصة لتكون سبباً للخير إن أردت.

وإن حقدوا لأنك رأيتهم في لحظة ضعف، فاعلم أنك لم تكن عدوًا لهم

يومًا؛ كنت شاهدًا على إنسانيتهم حين لم يرغبوا أن يراها أحد.

فاحمل ما تعرف بحكمة، فربما يعودون يوما إلى أنفسهم بما رأيت.

الحياة ليست معركة وجود، ولا سباقا للحقد والحسد؛ هي مرآة لما نغذيه في أرواحنا وإن غُمّ عليك البعض، ابتسم لهم من بعيد وامضِ، فالنور الذي معك قد يوقظ قلوبهم ذات يوم، أو على الأقل يحفظ سلامك الداخلي.

لا تجعل الحاقدين يرسمون لك الطريق، ولا تسمح لهم أن يُفسدوا طيبتك فقط لأنهم فقدوا طيبهم، من يبقى معك يستحقك، والبقية ضعهم في أماكنهم

وانتهى الأمر، وراء كل حقد درس: أن تكون أقوى، أوعى، أحلم.

وراء كل غمّة فرج، وراء كل سوء نية فيك قدرة على التفاؤل، وإيمان بأن الحياة أكبر وأجمل من أحقادهم.

كن أنت النور، ودع نورك يضيء حتى في القلوب التي تحبك ولا تدري.

"صوتٌ لا يُخطئ"

كان في قلبي صوتٌ خافت لا يعلو لكنه لا يصمت، همس لي في لحظة سكون: "احذر، ليس كل من ابتسم لك نقيٌ السريرة".

لكنني كنتُ غارقًا في طيبتي، أُغلق عليه الأبواب وأردّد لنفسي: "أنا أعرفه، لا يمكن أن يطعن، لا يمكن أن يخون".

وكنتُ كمن يُغلق النوافذ في وجه العاصفة ويُقنع نفسه بأن الجوّ صاف حتى إذا ما جاءت الطعنة من حيث لا أحتسب، سقطت كلُ الأقنعة دفعةً واحدة، وارتفع صوت القلب باكيًا: "ألم أُخبرك؟"

لـم يكـن الخطـأ فـي الشـعور بـل فـي إنكـاري لـــه، فـــي محـــاولتي اليائســـة لأن أُجمـــل ملامـــح الحقيقـــة، وأُمســـك بيـــدِ الخـــذلان وأدعوه صديقًا.

يا لقلبي ... كم كنتَ صادقًا!

ويـا لعقلـي ... كـم كنـتَ أعمـى حـين اختـرت أن تُكذّبه.

"ومضات القلب ...حين يتعلم"

كان الصوت في داخلي لا يصرخ بل يهمس كأنه ضوءٌ خافت في آخر النفق، يشير إليّ دون إلحاح: تأنَّ، لا تطمئنّ كثيراً، فليست كل الأيادي الدافئة أمينة".

لكنني كنتُ أنظر بعين القلب لا بعين الحقيقة، أحببت النقاء في الآخرين حتى رسمته على وجوههم حتى وإن لم يكن موجودًا.

وحين جاءت الخيبة لم تكن خيانة الآخر فقط بل كانت خيبة ظني بنفسي حين خذلتُ حدسي، وأسكتُ قلبي.

لكن ما أقسى الدروس التي لا تُنسى، هي التي تصقل الروح، وتشحذ

البصيرة، وتُعلمنا أن نُصغي لا بأذاننا بل بأرواحنا.

لقد أدركت أن الصوت الذي بداخلنا هو بوصلةٌ خلقها الله فينا، ترشدنا لا لنخاف بل لنُبصر.

نعم، سُقطت الأقنعة وتألمت، لكنني اليوم أكثر صمتًا وأكثر فهمًا، وأقوى من أن أُسلّم قلبي لظلٍّ أو أُغلق عيني عن نورٍ بداخلي.

الخذلان؟ لم يعد نهايةً كما كنت أظن بل أصبح بدايةً لبناءِ ذاتٍ لا تنكسر، تُصافح بحذر، وتحبٌ بوعي، وتثق لكن بعينين مفتوحتين.

"الحياة لا تفسر بل تُحتضن"

ربما لا تكون الحياة كما خططت لكنها تمضي كما يجب كأنها تعرف الطريق وإن جهلته أنت.

تتعثر نعم لكنك لا تسقط عبثا، كل عثرة درسٌ في التجلي وكل تأخير حكمة متخفية في رداء الغياب.

أحيانا لا يكبر الإنسان بالعمر بل بما نضج فيه من صبر، وبما مات فيه من جزع، وبما ازدهر فيه من رجاء لا ينطفئ.

الحياة لا تفسر دائمًا بل تُحتضن كما هي، بأسئلتها، بغموضها، بلحظاتها التي لا تُقال وتُعاش بقلبٍ يهمس في كل مفترق، لعل ما يأتي أجمل.

تفـــاءل لا لأن كـــل شـــيء ورديّ بـــل لأنـــك اختـــرت أن تُبصـــر النـــور لا العتمـــة، أن تـــرى فـــي كـــل تـــأخرٍ فرصـــة، وفـــي كـــل فقـــدٍ مساحة لقدوم ما هو أنسب.

إنـــك لا تمشـــي وحـــدك، ثمـــة حكمـــة تســـبقك ولطـــف يرافقـــك ورحمـــة تُرممـــك فـــي الخفاء.

فـــلا تخـــف مـــن الطريـــق؛ فكلمـــا ضـــاق اقتربـــت َأكثـــر مـــن الاتســـاع، وكلمـــا أظلـــم كان النور قاب قوسين.

"الغفران الذي لا ينسى"

أنـــا لا أنســـى لكننـــي أغفـــر، أُدرك تمامـــا مـــا فُعـــل بـــي وأســـمع الصـــدى البعيـــد لـــذلك الكـــلام الـــذي هزنـــي، لكنـــي لـــم أعـــد أرتجـــف كمـــا كنت.

الغفـــران لـــيس فقـــدًا للـــذاكرة بـــل قـــرارًا بالحرية.

هـــو أن أضـــع الجـــرح فـــي مكانـــه، دون أن أسمح له أن يُدير حياتي.

لا أنكـــر الألـــم، ولا أدّعـــي الطُهـــر، أنـــا فقـــط أرفـــض أن أظـــلّ مشـــدودًا إلـــى لحظـــة لـــم أعـــد أريد العيش فيها.

أغفـــر، لا لأنـــك تســـتحق بـــل لأن قلبـــي أرهقه الحمل.

أغفر وأنا أذكر كل شيء لأن النسيان لا يجيء حين نحتاجه، لكن الغفران قرارٌ يأتي حين ننضج بما يكفي لنختار السلام.

فلا تقل لي: "إن كنت تذكُر، فلماذا سامحت؟" بل اسأل: "كم احتجتَ من القوّة كي تتذكر ولا تنتقم؟"

"طيبة لا تفنى"

لأنه يشبه النهر لا يعرف كيف يتوقف، كان يظن أن القلوب كلها تشبه قلبه، فكان كلما رأى حزنًا اقترب، وكلما لمح انكسارًا مدّ يده كأن العالم أمانة في عنقه، وكأن دفء قلبه وحده قادر أن يرمّم ما تكسّر.

كان يعطي كما تعطي الشجرة: ظلًا وثمرًا وملجأ، ثم يقف شامخًا حتى بعد أن يُثقلها الآخرون بأحمالهم وينصرفوا دون كلمة شكر.

لكن الطيب حين لا يعرف حدودًا بين ذاته والآخرين يذوب، يمنح حتى لا يتبقى منه شيء ثم يجلس ذات مساء يشعر بأنه خُدع لا لأن الناس سيئون بل

لأنه نسي أن يرفق بنفسه كما يرفق بهم.

وفي لحظة صدق مع ذاته أدرك أن الطيبة ليست خطيئة لكن الخطأ أن يمنح قلبه بالكامل وينسى أن يترك فيه غرفةً صغيرة يسكنها هو.

ولأول مرة لم يحزن على ما مضى بل ابتسم وقال في سرّه: ما أجمل أن تبقى طيبًا لا غبيًا، حنونًا لا منهكًا، معطاءً لكن دون أن تُفني نفسك في كل مرة.

ولأنه من معدن نادر قرر أن يستمر لكن بوعي، أن يحب لكن لا يُرهق، أن يعطي دون أن يُفرغ نفسه، أن يظل كما هو لكن يمسك بيده قلبه قبل أن يمدّه للآخرين، لأن من يشبه النهر لا يتوقف

لكنـــه يســـتطيع أن يُغيّـــر مجـــراه إن اقتضـــى الأمر.

"نحو النور"

أعجب كيف أن بعض القلوب القريبة قادرة على الأذى، وكيف يمتد الظل أحيانا من حيث ظننا أن الشمس لا تغيب، يمكرون، يخدعون، ينسجون خيوط الحيلة حول أرواحنا الطيبة وكأن نقاء القلب صار تهمة، لكنني لا أنحني فأنا أعلم أن الله يرى، وأن الله لا يخذل عبدًا أحسن، ولا يترك قلبا أعطى بنية الرضا، ولا ينسى دمعا نزل في صمت.

حين يُغدر بي، لا أبدّل لوني، لا أرد القسوة بالقسوة بل أرجع إلى ذاتي، أتوضأ بالسكينة وأمضي، أمضي نحو النور حيث لا خبث ولا مكائد، حيث

الطمأنينة تسكن الطريق، والخير يرافق الخطى.

تعلمت أن النقاء لا يُهزم وأن العفو ليس ضعفا بل رفعة، وأن التوكل على الله أعظم سلاح في وجه كل خذلان، وسأبقى كما أنا أحسن، وأعطي، وأمضي نحو النور.

"الخذلان"

الخـــذلان لـــيس حـــين يهاجمـــك عـــدوّك بـــل حـــين يطعنـــك القريـــب، حـــين يخونـــك مـــن كنـــت تظـــنهم ظهـــرك، ويبيعونـــك بـــثمن رخـــيص، وحـــين يضـــعون مصـــلحتهم فـــوق كل شيء حتى فوق إنسانيتهم.

الخـــذلان؛ حـــين تـــرى مـــن حولـــك يتبـــدّلـــون، وجـــوههم نفســـها لكـــن القلـــوب تغيّـــرت، الضـــمائر نامـــت، والعهـــود ذهبـــت مـــع أول ريح مصلحة.

يخططـــون، يمكـــرون، يتواطـــؤون، كأنـــك غريـــب، كأنـــك لـــم تكـــن لهـــم يومًـــا وطنـــا، لـــم تقف يوما في صفهم، لم تحترق لأجلهم.

لكـــن يبقـــى المظلـــوم كبيـــرًا ولـــو اجتمـــع عليـــه الصـــغار، ويبقـــى الحـــق حيـــا ولـــو خانتـــه

الألسنة، ويبقى الله شاهدًا يمهل ولا يهمل، فيا خاذلين لا تطمئنوا كثيرًا، فالعدل آتٍ ولو بعد حين.

"مسافرٌ بين الكلمات"

أنـــا المســـافرُ بـــين الكلمـــات، أرتحـــلُ لا بخطـى بـل بخيـالٍ يسـبق الضـوء، أُقـيمُ فـي الحـروف التـي تهمـس، لا التـي تصـرخ، وأجـد سـكينتي فـي بيـاض الصـفحة أكثـر من سطورها المكتملة.

فـي كـلّ مفـردةٍ ألتقـي بـذاتي كـأن اللغـة مـرآة، وكـأن الفكـر نهـرٌ لا يعـرف الضـفاف، تربـتُ الكلمـات علـى كتفـي، حـين ضـاق بـي الرفـاق، ومالـت بـي الطرقـات، فأدركت أن الكلمة ليست حرفا بل حضنا.

حـين خـذلتني الإجابـات جـاءني السـؤال عـابرًا كنسـيم فجـر لا ليربكنـي بـل ليـوقظ فـي حـواس النـور، فـبعض الحيـرة نعمـة

لأنها تقودنا نحو المعنى، ونحو الذات التي نسينا أن نُحادثها.

أنا لا أخاف الضياع، فالضياع وهمٌ لمن لم يذق لذة التيه، في التيه نكبر، في الغموض ننضج، وفي منتصف العتمة يولد المعنى.

الحياة لا تُمنح بل تُعلم وكل عثرةٍ فيها درسٌ في النهوض، وكل غياب تدريبٌ على الاكتفاء.

ولهذا أبتسم لأنني أعلم أن الكلمات تعرفني، وأنني مهما تهت سأجدني دائمًا في سطرٍ كنت قد نسيته ينتظرني.

"لست ُأبكي عليكم ...بل على نفسي"

تبكـــي العـــين ُلا لأجلكـــم ولا لأن ّالفقـــد َفـــيكم موجـــع بـــل لأنـــي حـــين كنـــت ُالنـــور َفـــي عتمـــــتِكم، قـــــابلتم صـــــفائي بـــــالجحود وبالخذلان القاسي.

لـــم أنـــدم علـــى عطـــائي ولا علـــى ابتســـامة خبّأتُهـــا فـــي صـــدري كـــي لا تـــرون َوجعـــي، لكنـــي بكيـــت ُعلـــى لحظـــات ِصـــدق، ٍ وضـــعتُها في قلوب خانت الأمانة َدون حياء.

كنـــت ُأجبـــر ُخـــواطركم، وأنـــا الـــذي كســـرتني الحيـــاة ُألـــف مـــرّة، كنـــت ُاليـــد َالتـــي تُمـــد فـــي العتمـــــة، فأمســـــكتموها لتغرقـــــوني لا لتنقـــــذوا أنفسكم.

غـــدرتم، ومـــا كـــان الجُـــرح فـــي الخيانـــةِ بـــل في توقّعي أنكم لن تخونوا.

كنـــتم تكيـــدون، وأنـــا كنـــتُ أدعـــو لكـــم فـــي غيابِكم وأحملُ لكم السلام.

فـــلا نامـــت أعـــينُ الغـــدر، ولا حـــزنَ قلبـــي علـــيكم، إنّمـــا علـــى نفســـي التـــي ظنّـــت أن النقاء يُفهم وأن الطيبة تُرد بطيبة.

"أتظن"

أتظـــن ّأن ّمكـــرك مـــر ّخفيفًـــا؟ أن خيانتـــك انطفـــأت فـــي صـــدري كمـــا تنطفـــئ شـــرارة فـــي مـــاء؟ لا يـــا هـــذا لقـــد خـــدعتني، شـــوّهـــت صـــورتي، بـــدّلـــت الحقـــائق، ونســـجت حـــولي روايـــات لا تمـــت ّللصـــدق بصـــلة ثـــم ّمضـــيت تبـــث ّســـمومك فـــي كـــل اتجـــاه، تـــزرع النميمة، وتقطف التصفيق.

أتظـــن ّأننـــي ســـأهبط إلـــى مســـتواك؟ أننـــي ســـأرد ّلـــك الإســـاءة بغيرهـــا؟ لا والـــذي خلـــق السماء مع أنني أقدر وأنت تعلم.

لكننـــي صـــمتٌ، تركتـــك تمضـــي ووقفـــت مـــن بعيـــد أراقـــب، إلـــى أيـــن ســـيقودك مكـــرُك؟ هـــل نســـيت أن الله يـــرى؟ أن ّالعـــادل لا ينـــام؟ وأن ّدعـــوة المظلـــوم تســـري إليـــه بـــلا

حجـــاب؟ ســـيظل قلبـــي غاضـــبًا مـــن فعلـــك، وروحـــي تـــدعو عليـــك مـــع كـــل ســـجدة، لا انتقامـــا بـــل طلبـــا للعـــدل، فمـــا أوجـــع الخـــذلان حين يأتي ممن آمنا بهم.

فكمـــا تـــدين تُـــدان، وكمـــا ظلمـــت ســـتُظلم وإن طـــال الزمـــان، ســـيُعيد الله الحقـــوق لأصـــحابها، وســـيعلم الظـــالم أي منقلـــبٍ ينقلب.

"الخير لا يُبتر"

من قلب السهام نجت اليد الممدودة بالخير دوما.

طوال حياتي عشت على مبدأ: الأقربون أولى بالمعروف؛ كان عطاءي موجها لهم أولا ومحبة قلبي محصورة في دائرتهم، وهبت وقتي، جهدي، مشاعري، خدمتهم، اعتنيت بهم، كنت السند، وثقت بهم ثقة عمياء، شاركتهم أسراري، أفكاري، آمالي الصغيرة.

ظننت أن هذا هو الأمان، أني أعيش الحياة كما يجب بعطاء لا ينضب، وبحبٍ لا مشروط، وبقلبٍ يعتقد أن الخير يُثمر دائمًا.

لـــم أكـــن أقـــول ســـري لغيـــرهم، ولا أقـــول فـــيهم إلا خيـــرًا، كنـــت أظـــن أننـــي أســـكن أرضـــا صـــلبة، وأن مـــا أزرعـــه فـــي قلـــوبهم لن يُخلف ظني.

لكـــن للأســـف الســـهام لـــم تـــأت ِمـــن بعيـــد بـــل جـــاءت مـــن نفـــس المكـــان الـــذي بـــذلت فيـــه الخيـــر والوفـــاء، والاهتمـــام، جـــاءت مـــن حيـــث ُحســـبت ُأنـــي فـــي مـــأمن، فـــإذا بـــالألم يـــأتي مـــن هنـــاك، ولســـت نادمـــة، كيـــف أنـــدم علـــى طهـــر نيتـــي؟ لكننـــي أشـــعر بالأســـى، بـــالحيرة، بالخـــذلان، فـــي قلبـــي ألـــف ســـؤال لا ينـــام: لمـــاذا فعلـــوا ذلـــك؟ كيـــف لـــم يُثمـــر فـــيهم كـــل هـــذا العطـــاء؟ كيـــف راودتهـــم فكـــرة بتـــر اليـــد التـــي امتـــدت لهـــم بـــالخير طـــوال العمـــر؟ أرادوا البتـــر لكـــن الله نجاهـــا، نجّـــى

اليـــد، ونجّـــى القلـــب، وحفظنـــي مـــن أن أستمر في وهمٍ لا يستحق.

اليـــوم أنـــا لســـت كمـــا كنـــت لكننـــي بخيـــر، أُحـــب، نعـــم، لكـــن بحكمـــة، أعطـــي لكـــن دون أن أفنـــى، أثـــق لكـــن بعـــد أن أســـمع صـــوت الحـــدس فـــي داخلـــي، مـــا زال فـــي قلبـــي خيـــر ويـــدي مـــا زالـــت ممـــدودة لكنهـــا لا تمـــدّ إلا لمـــن يعـــرف قيمتهـــا، ولمـــن لا يفكـــر فـــي خذلانها عند أول فرصة.

"الخاتمة"

رغم الخِذلان يمكنك أن تبدأ من جديد؛ الخذلان ليس النهاية كما تظن، هو بداية مؤلمة نعم، لكنها بداية حقيقية، صفعة توقظك لا لتكسر قلبك بل لتكشف لك ما كنت تجهله، قد تتعثر، وقد تبكي، وهذا من حقك لكن لا تدع الانكسار يستوطنك.

الخذلان يعلّمك أن تمنح بحكمة، أن تعطي من قلبك لكن دون أن تنسى نفسك، هو درس بلغة الغياب لكنه يُكتب بحبر البصيرة.

سيهمس لك الزمن يومًا: ليس كل من أحببته كان جديرًا بالبقاء.

قد تظن أن الوفاء ضعف، وأن الطيبة سذاجة، لكن الحقيقة غير ذلك؛ نقاؤك

لـيس خطـأ بـل قـوة نـادرة، وخيبـة الآخـرين بك ليست عيبك بل عيبهم.

سـتنهض مـن بـين الركـام وسـتجمع بقايـاك بصـبر لا علـى عجـل، لـن تحتـاج إلـى منقـذ، لأنك أنت من ستنقذ نفسك.

افـتح نوافـذك لنـور الـداخلي واكتـب فصـلك الجديـد دون خـوف، فكـل خـذلان لقّحـك ضـد الكسـر، وكـل سـقطة كانـت تمهيدًا لقيامك الأقوى، تذكّر دائمًا:

الخـذلان لـيس النهايـة... هـو بدايـة لأمـلٍ أنضـج، لقلـبٍ أذكـى، ولـنفسٍ لا تنكسـر بسهولة.

مذكرات بلا نهاية

وما زال قلبي يُضيء
أحيانًا يُخذل الطيبون لأنهم أحبّوا بصدق
وأعطوا دون انتظار لكن الخذلان لا يُطفئ
النور بل يكشف من لا يستحقه
تعلمت أن القلب الطيب قد ينكسر لكنه لا
يفسد وأن كل ألم يمرّ يُنضج الروح ولا يُميت
الرجاء لم أندم على الطيبة
فمن يمنح النور لا يخسر بل يعلو

مديرة الدار: رزان محمد كليب

نسمات الأدب

تصمير الغلاف: منة محمد